بدأ الأســتاذ الدكتور حاتم الصكر حياته الأدبية شــاعراً، ثم استدرجه النقد الأدبي إلى أن اســتحوذ عليه. أصــدر ثلاثــة دواوين، كان آخرهــا "ملاذٌ أخير". وللذين يتســاءلون: هل انتهت علاقة حاتم الصكر بالشعر؟ نقول لهم: لا، وهذا ديوانه الجديد الذي تستضــيفه "غيمان" يؤكد اســتمرار العلاقة الحميمة بين الناقد والشاعر.

الهبوط إلى برج القوس

حاتم الصكر

(مانهايم – صيف ٢٠٠٥)

بألسنةٍ أخرى.. وقلب الشاعر

مختارات

.. وقلتُ لها: كوني لي رفيقاً فأنا من أَهلكِ.

فأجابتني: لم أعد أعرف لي قريباً من غريب.. ولي صدرٌ به نجوى، أأشرحها أم خفيها؟

جلال الدين الرومي

يا قصوراً في الهواء.. مَنْ منّا لا يبنيك وهماً أو عبثاً؟!.. شِراكٌ نُصِبت لكلّ مجنون وعاقل.

لافونتين

■ أهنالك ماءٌ يروي

ظمأ الماء؟

أدونيس

لو كان لي حاضرٌ آخر.. لامتلكتُ مفاتيح أمسي.. ولو كان أمسي معي.. لامتلكتُ غدي كله..

محمود درويش

أسماء.. وأفعال*

■ **المتنبي**

الشعر

كتابك إلى هذا العالم،

عابراً فضاءه «على قلق» وفوق حصان الريح،

*كل ما بين قوسين في النصوص، هو أقوال منهم، وأفعال، وعناوين من أعمالهم.

ملوكه يحاصرون خطاك
ونساؤه
وشعراؤه
وصيارفته
أكنتَ في طفولةِ اللهب تسوِّي من طين الفرات أحلاماً
ثم تسقيها دماً ودمعاً
في حمص، حيث السجن أحبّ
وفي التيه إذ تضرب «ضرب القمار»
رملٌ.. رملٌ.. قافلتك تَعبر الزمن
فأين «أرض العراق»؟
وخلفك جيش من الشعراء
وحاشية من المجانين
وشيخ أعمى يقرأ صحائف شعرك
وأنت إذ تجد الكأس يغيب النديم
وإذ يصل النديم تنضب الكأس
في فاصل من «ضَحكٍ كالبكاء»:
الناس يحتفلون بأعيادهم مقيدين إلى أسوار المدن
وواسط تطلق أشباحها على موكبك
وليس ما في الكأس خمراً
بل سلافة الندم على ما سيأتي من أيام

■ **أرثور رامبو**

في حجرات بيتك الآهل بالوحشة
على إصبع الجبل، وفي فم البحر المنتفخ بالأمواج
متوسداً «صخرة عدن المحماة» بشمس استوائية
تكتب «فصلاً» آخر في «جحيم» أرضي
خطى البحّارة يُثقلها السكر والتعب
مقيّداً إلى فراشك المهجور كسفينة محطّمة على ساحل
تصيخُ إلى «إشراقات» تلمع في الظلام
وتكتب شعراً بلا قصائد

ثم تطير على محفّةِ الحلم
حيث الموت باسمه الرمزي:
«حَبَل بلا دنس»
وشعر بلا قصائد
سفر أزلي آخر
وفصل يرفع أشرعته في أعراف العالم
بين الجحيم حيث الشعر..
والجنة.. عدن!

■ **السيّاب**

جيكور متكورة في أعشاش عصافيرها
والعصافير تتمدد في مقبرة القرية
دار جدّك مهجورة،
عذراً! مملوءة بغائط الجنود
وروائح قتلاهم
أما الغرف ذات الشناشيل
التي طالما أومأْتَ منها لفتاة أو قصيدة
فهي مسكونة بأشباح الخوف
وصرخات الموتى
وأصوات المدافع
النخيل.. شجرك الإلهي الذي تحتمي به
كلما عزف المطر أنشودته الحزينة
أو راودتك قصيدة نهاراً بأكمله..
أو طلبت موعداً من امرأة
النخيل.. لم تعد له رؤوس
القنابل قطعتها كلها
وردمت مجرى بويب الذي لم تعد
تنق فيه حتى الضفادع
السمك الساهر الذي سألت عن ساعات نومه
والأطفال الذين يداعبون أوجه النائمين على السطوح
والماء الذي يتماوج فوق صفحته (بَلَم) العاشقين

كل ذلك صار رماد الزمن الهامد
وموقد اليتامى المطفأ
لا شيء
إلا أحجار متفحمة
لعلها أجساد أولئك الغرقى الذين
رأيتهم يقاومون بالمجاديف غضب الأنهار والعواصف والأمطار
وتئن تحت خطاهم القرى
وأنت بأذنيك الخارجتين عن نحول خديك
«تسمع الحصى يصلّ في القرار»
«والقرى تئن»
وتسمع «السحاب يشرب المطر»
ولا شيء بعدُ سوى العقم
غيمة بلا مطر
«ونار بلا لهب
طلق بلا ميلاد»
وشعر على شفة خرساء
ومقبرة.

■ **أدونيس**

تحدَّرتَ من سلالاتهم فكنت منهم بالجسد
إنما، هناك الروح، بعيدةً تخفق
في «أقاليم النهار والليل»
تُرتّب الفصولَ ثانيةً
صيفهم شتاؤك
وخريفهم ربيعك
وأسلافك المجانين يقفزون من حاشية التاريخ وهامش المكان
يمدّون لك «الكتاب»:
«أشياؤه الواضحةُ» تلمع ببهاء الغموض
وغموضه البهيّ يشعّ عن سحاب المعنى
أُضرب بعصا الشعر
بحرنا المغطى بالأشنات والحجارة

لعلّه ينشق عن طفل الرؤيا
أميّاً لا يفقه لغتنا
... ومجنون في هيئة بهلول يعلّمه «أبجدية ثانية».

■ **عبد العزيز المقالح**

ينبش نار الشعر بعودٍ أخضر
ويرى جمراً يتأرجح
هذا جسد آخر «عائد من الموت» ينثر أوراقه
ينقّب في خلاياه الجديدة
عن دم (أجدّ) دائماً..
عيناه الغائمتان بالحزن تنعيان بلا كلام:
عصراً خؤوناً
وزمناً أعمى
ورجالاً باعة
كل فجر.. يحاور «طفلة البنّ»
ويسألها ميلاداً آخر ويراها
تجتث قاتها وتوزّعه «عشباً للصداقة»
إنها صنعاء راجفةً خلف جبال التاريخ
السفر إليها طويل كسنين يوسف،
وشاسع الخطى كليلة شتاء في قطار بلا نهاية
ويعلم أنّ سيطول السفر
ولكنّ «لا بدّ من صنعا»
... بالعود الأخضر ينبش نار الشعر
فتغدو خضراء
تلتمع في ألسنتها «أبجدية» أخرى للروح
تعبر أسوار صنعاء وتدخل بيوتها من أبوابها المقفلة
زمن لوضّاح هربت ساعاته من تقويم آلامه
وسكنتْ في قصائده متدثرة بنبضه الخجول.

■ **أمجد ناصر**

«سُرّ من رآكَ»
أو رآها، بل سُرّ من رآكما في قميص الليل
هي القصيدة ممددةً عارية
جسداً يطرزه النمش
«منذ جلعاد» أصدقاؤك «رعاة العزلة»
لا يمشون إلا لكي يضلّوا
هم «الغرباء» الذين «لا يَصِلون»
إلاّ لتخوم سجن أو منفى
أو يبتلعهم فراغ آخر في مدن الشيطان
... البادية هناك في البعيد كجرح مخبّأٍ في جثة
تنام في يقظتك كل ليلة
وتمحو بياض النمش عن الأجساد البرصاء
والأفواه المكممة
وصباحات لندن الشاحبة
... وتهمس لك وحدك:
«سُرّ من رآك»
«سُرَّ من رآك».
يا عباءاتٍ ومناديلَ ومغازلَ وأشعاراً تطير في خيمة البدو الوحيدةٍ.

■ **حسب الشيخ جعفر**

«الطائر» الذي من خشب
حطّ في غرفته العارية
فقام ليغلق الشبّاك
نجوم بغداد لامعةٌ في سماء صيفها
والسطوح الفارغة يبترد في فضائها كوز ماء
الجوع يضيء وجه «السيدة السومرية» ألقاً شاحباً
وآخر الكتب التي باعها في مزاد الجمعة
اشترى بثمنها أسطوانةً تحكي غواية شهرزاد
تلك التي احترق في نارها «الدرويش»
وصارت لحيته «رماداً»

شهرزاد التي تبع برق عينيها من قصب الأهوار
حتى ثلوج موسكو
«نخلة الله» الجنوبية قطعت القذائف رأسها
وظلت واقفة على جذعها المسود
تحكي عن حضارات تولد سفاحاً
وأقمار تذبل في جوف الحصار
يغلق الشباك خلف جثة «الطائر الخشبي»
ويتمتم كلماتٍ لا يسمعها هو نفسه.

الطيور.. لا تقع على أشكالها

الطيور
تلك التي صاغها جنون أحلامنا
على ضفاف عمر هائج.

الطيور
تلك التي وهبتها أشعارنا
الأجنحة.. والحواصل.. والمناقير

تلك الطيور الغريبة
طيور طفولتنا
وأحلامنا
وقصائدنا
لا أشكال لها.. ولا نظائر
تقع كل صباح على ظلالها
مستوحدة.. غريبة
بأجنحة متكسرة.. وريش متناثر
تأوي إلى الريح.. والوديان.. والمنافي
حتى تدهمها عاصفة
تلك الطيور
لا تقع على أشكالها أبداً

لأنها دون إلف أو قرين
سوى صورتها المحترقة في مرايا العاصفة.

● صنعاء/ ١٩٩٨

موت الغزالة

(إلى ابن طفيل)

حين تحسستها راحتاه الصغيرتان
أدهشه أن جسدها لا يزال حاراً
وأطرافها الأربعة في مكانها من الجسد
لماذا إذن هي هامدة؟!
فكّر حي بن يقظان،
أهو النوم الذي نختبر فيه قيامتنا بعد كل ميتة؟

من أطراف الغابة
يأتيه صوت معلّمه:
الغزالةُ ليست نائمة
وما يطوف على عينيها ليس حلماً
بل هو الموت، يا حي
درسنا هذا الصباح
قاسٍ ودمويّ..
لكنه حقيقة
إنه الموت
الرحلة التي لا يعود منها أصحابها
يا ابن يقظان
– إذن، حتى أنتِ أيتها الغزالة!
يقول حي
ويطوي آخر صفحات دفتره
على موت الغزالة.

● صنعاء/ ١٩٩٨

تساؤلات

■ إذا كنتَ –في قلب العاصفة–
لم ترتوِ بعد من الحياة
فكيف سيطفئ الموت
ذلك الظمأ الحارق في جوف الروح؟

■ تأتين مبكرة على ولادتك
وأجيء متأخراً عن أمسي
فكيف إذن سيلمّ التراب
شتات أصابعنا المرتبكة
وأنين صراخنا الضائع في بريّة العالم؟

■ في البئر يبكي يوسف الجميل جَوْر إخوته
وفي مزودٍ مهجور يغفو الناصري
هارباً من قبلة يهوذا
وفي التيه تخبط عصا موسى عشراً من
أفاعي زوجة العزيز
فأين يخبئ المتنبي قلق قوافيه
وخطاه الشريدة في رياح المدن؟

■ الأمس: عصف ليس فيه ما يؤكل.
والغد: نبأ مجهول في رحم عاقر.
فإلى من تستند الروح الذاوية
وهي تسبح غريقة في عماء الكون؟

■ في الكتاب حروف سود لا تبصرها
الأعين
ورسائلهم أضاعها سعاة بريدٍ أميّون
والصور محترقة في غرف مظلمة
فبمن تستجير لحظة تغرس الكآبة أنيابها

في لحم وحدتك؟

■ يمضون إلى مجزرة بسعة الأرض
ونسير إلى فردوس مفقود
تتقاطع خطانا.. ولا نلتقي
فكيف يظل الغرب غرباً
والشرق شرقاً
دون أن تنهار قبة العالم
فوق حطام الرؤوس المتصادمة في غبار
الحروب؟

● صنعاء/ ١٩٩٩

بورتريهات مقَرَّبة!

- ١ -

■ **امرأة**
الحزن
بعلها الوحيد الذي من أجله
تحوك صوف الانتظار
وتقتل بالصمت خطّابها المائة
الحزن
قرين لياليها التي لا يُدركها صباح
أخيراً
اصطدم بمغزلها في الظلام فانغرز في صدرها
الحز...

- ٢ -

■ خطى جلجامش

(إلى الشاعر: عبد الرزاق الربيعي)

إذ يمشي
يتخيل أنه يعبر نهراً لا مرئياً
بخطى جلجامش المضاعفة
ولحيته العنكبوتية تؤطر وجهه الحزين
تنيرها في الليل قصيدة
يلم في أول الصباح
رمادها، عن البساط الوحيد في غرفته
فتصعد بصعوبة بالغة إلى فمه المحاصر
بالحزن وسواد لحيته الكثة
فيضيع نصفها في الطريق إلى قامته
ويمشي متوقياً أسماكاً ميتة
في نهر لا مرئي يجري في صحراء وحدته.

- ٣ -

■ باب اليمن

ليست مدينة تفتح لك باباً
بل هو الباب ينفتح عن مدينة
وإذ تتبع طرقاتها الأفعوية
سيسلمك سوق إلى بستان
وواجهة صنعانية طويلة إلى فضاء قمري
اختر أي منعطف..
وستجد أهوال زمن جميل
لا يريد أن يلقيه عن ظهره ذلك الجمل
النائم في المعصرة.

- ٤ -

■ **عدن**

بحرُها الذي يضيق بالسفن
وأرجل السيّاح
يلوذ بالجبل
منحنياً على مياهه كأمّ ترضع صغيراً نائماً
ويدور حول الساحل كذراع تحتضن حبيباً
في خيط الفجر الأول
تلتمع فوق صفحة الماء زوارق الصيادين في (صِيرة)
عائدين بأهازيج الصيد ولقاء البيت
وأسماكهم الملونة
يطردون عنها أسراب الغربان..
والرمل.. والقطط
عدن تكافئ بحارتها
ببخارٍ يطلع من أعماق صدرها
ودخانٍ يتبدد عند خرطوم (الفيل)
الذي نحتته على ساحلها الذهبي
أصابع الزمن..
وثرثرةُ الأمواج
التي لا تكف عن
عناق الصخور
في ليالي (شمسان)
وصباحاته.

موت معلّم العربية

... الرجل
الذي
كان
على سبورة سوداء
يرفع الفاعل

وينصب المفعول
أو يجرّ -حتى الجبل- بِكَسْرةٍ
صغيرة

... الرجل
مات، هذا الصباح
ولم يعد أحد، على سبورة سوداء
يرفع فاعلاً
أو ينصب مفعولاً
أو يجر حتى نملةٍ بحرف أو
يدين

... الرجل
مات
يداه (مضمومتان)
وقامته (منصوبة)
ورجلاه (مكسورتان)
أما القلب
فكان (ساكناً)
مقيداً إلى قفصه الصدري...
... في المساء
القبر وحده كان (مفتوحاً)
وكل شيء
خلف نقطة النهاية..
(ساكن) بلا حراك.

● بغداد ١/٥ /١٩٩١

توقيعات

■ الضحكةُ: دمعةٌ ذاتُ صوت
والدمعة ضحكة صهر الحزن معدنها الرخيص.

■ الجسر: أضلاع قتلى مهشمة.. وأياد لا تلتقي كي لا تتصافح.

■ الغابة: أشجار هاربة من مهودها
وصغار يكبرون في برّية خوفهم.

■ بغداد: مدوّرة وزمنها دائري، ولذا
تدور عليها الدوائر.

■ الدكتاتور: بعين السيكلوب يرى نفسه في كل شيء
ولا يرى الآخر في داخله
إلا عدواً له رأس حان قطافه
وهو صاحبه.

■ ولادة هتلر وهولاكو
موت المتنبي والسياب:
أقدار تتصادم في عماء الحرب
ويأس الخليقة.

■ نمشي مقيدين في حلم مطفأٍ ونستيقظ في عاصفة.

■ الموتى: لا يسمع شكواهم إلا التراب.. فيسد أفواههم ضجراً.

■ نولد خفيفين.. أثرياءَ بلا ديون
لأننا بلا ثياب
ونموت عراة مفلسين
لأن الأكفان بلا جيوب.

■ العراق: جغرافية يحدها الحزن من الجهات الأربع في فصول خريفها الأربعة.

■ لحظة انطفاء الرغبة
هي لحظة اشتعال العالم.

الهبوط.. إلى برج القوس

(إلى ميلادي... مرة أخرى)

صباحاً طلعتُ
متشبثاً بمشيمة فلّاحة
هبطت بها إلى بغداد
الباصات الخشبية
وقحط المزارع
والجراد
على حدّ عام يحتضر
كما لو كنتُ أنتظر صمت المدافع
وانتصاف القرن
واكتمال الأولاد الخمسة
قبل أن يصبحوا دزينة فقراء.
هكذا،
والمطر يغرق الشوارع
ويزيد كانون الأول برداً وشحوباً،
طلعت صباحاً
نحيفاً.. كعصفور شوكي
لأسكن برج القوس المكسور دائماً
ولكن.. أمام الصفوف
في طوابير الصباح المعذّب بالنعاس والجوع
والبرد
سأنشد (شوقي):
«... وللحرية الحمراء بابٌ
بكلّ يد مضرجة يُدقُّ»
ولا أفقه المسألة
فلم أبصر الأيدي
وهي تلوى على ذلك الباب..
مكسّرة الأصابع
كنتُ أقول بصراخٍ بائس وكأنني أتمدد خارج جسدي:

«بلادي»
فتفتح في الذاكرة
كوى الجبّ.. يدخله ألف يوسف
والحب
بوردة دفلى فقيرة
وبرد شباط
-ولكي ندّفّأ
كنا ننفخ عبثاً في راحاتنا
ونضربُ أفخاذاً يكشفها سروال مهترئٌ..
ووحيد-
ثم نسير صفوفاً كخيط نمل يبحث عن حبّة
ندخل قاعات الدرس الطينية
نتشمم رائحة البيض الفاسد
وحبوب زيت كبد الحوت الكريهة
وبقايا الخبز
في فسحة التغذية المجانية
ثم نغني رافعين رؤوسنا الحليقة إلى سقف
طيني تشاركنا فيه العناكب والأرضة..
نغني لذلك العلم المترنح في الريح:
«عشْ هكذا في علوّ أيها العَلَمْ»
عش هكذا..
ولتنخفض سقوف بيوتنا المضاءة بالفوانيس
ولتنهدم قرانا
يأخذها الفيضان يوماً في ١٩٥٤ لنصبح في
عداد (المنكوبين)..
-وأذكر هذه الطرفة-
عام ١٩٥٧ (كثير منكم أيها الأعزاء لم يكن قد ولُد بعد)
أخبرنا مدير المدرسة
والأرض لا تسع قدميه فرحاً
أن الملك سيزور قريتنا
بعد أن يحضر حفلاً لصيد ابن آوى

تغير كل شيء في قرية (الرستمية) وأزقتها
الترابية
ودُعيت لأكون ضمن فرقة الإنشاد
معلّم الإنجليزية القصير بجثته الضخمة
الآثوري الذي يتكلم انكليزية صافية تثير
ضحكنا
ألّف نشيداً ولحنّه
«وي آر سكول بويز
إنّ رستمية، إنّ بغداد، إن إراك
أور كينغ فيصل...»
هذا ما ظل عالقاً على جدران الذاكرة.. من
النشيد
لكننا: أطفال القرية،
وبعد أن ألغيت زيارة الملك لأسباب لم نعلمها
حتى الآن
صرنا نقرأ النشيد كل عاشوراء
حين يضاعف السواد كآبة لياليا
وسط مواكب العزاء
موقّعين على صدورنا العارية
بين دهشة الكبار ولعناتهم:
«وي آر سخول بويز»
كان ذلك كله
قبل أن ينغلق إلى الأبد باب (شوقي)
وتنكسر سارية العَلَم
كان ذلك
قبل أن تتهدم القرية
ويكبر الصغار... وتتفرق بخطاهم الطرق...
وتشيب السوالف...
- والأرواح...
- والأفئدة.

● صنعاء/ كانون الأول ١٩٩٨

تعريفات

■ **الوسادة:**

حجر مقدود من بازولت

والقطن بداخلها أحلام موءودة

■ **الحرية:**

قيد يفضي للقبر

بحجمِ فضاء!

■ **الليل:**

بئر من أحبارٍ

وشموع منطفئة

ودخان!

■ **الحب:**

وجهٌ لا عينَ لهُ

ولسان

دون كلام

إلا ما يكتبه القلب على نبضه

في جسدٍ لسواه

حين ينام!

■ الموت:

السيد في حقل عبيد
مرهونين بخيط
يسحبه أنَّى شاء!

■ المرأة:

شاهقة ووحيدة
عصية ونافرة
تأتي إذ تأتي
بجيادٍ دموية.

■ الشعر:

المتأفف من وطأةِ قافيةٍ
القافز من كفة ميزان صدئٍ
لفضاء
والغازل ثوب الكلمات
فوق الأجساد العطشى.